جامعة الأزهر
كلية الشريعة والقانون
بالقاهرة

مجلة الشريعة والقانون

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تعنى بالدراسات الشرعية والقانونية والقضائية

تصدرها

كلية الشريعة والقانون بالقاهرة

جامعة الأزهر

العدد التاسع والثلاثون

إبريل ٢٠٢٢م

توجه جميع المراسلات باسم الأستاذ الدكتور: رئيس تحرير مجلة الشريعة والقانون

جمهورية مصر العربية - كلية الشريعة والقانون - القاهرة -الدراسة - شارع جوهر القائد

ت: ٢٥١٠٧٦٨٧

فاكس: ٢٥١٠٧٧٣٨

http://fshariaandlaw.edu.eg

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة وليست مسئولة عنها

رقم الإيـــداع

١٨٠٥٣ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي للطباعة

ISSN: 2812–4774

الترقيم الدولي الإلكتروني:

ISSN: 2812–5282

الحوار في الإسلام

مقاصده وأسسه وتطبيقاته

إعداد

د. ناصر محمد السيد إسماعيل

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

الحوار في الإسلام مقاصده وأسسه وتطبيقاته

ناصر محمد السيد إسماعيل

قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الالكتروني: nasermohamed.2013@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول البحث أسس الحوار في الإسلام وتطبيقاته وذلك من خلال استقراء ملامح الحوار في القرآن والسنة، والتي تظهر لنا من خلال تكريم الإسلام للإنسان، ومن مقتضيات هذا التكريم أن لا يجبر هذا الإنسان على اعتقاد ما لا يرد، وقد خصه الله تعالى بالإرادة الحرة، ويقوم الحوار في الإسلام على الرحمة، ويقوم على العلم، وعلى الأصول والعلوم المعتبرة عند بني آدم، كما يقوم على شواهد الواقع، ويتضمن القرآن الكريم صورا من التطبيقات العملية للحوار، ومن هذه التطبيقات: حوار الله تعالى مع الملائكة، وحواره تعالى مع إبليس، وحوار الخليل إبراهيم مع مدعي الألوهية، وحوار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه من عبدة الكواكب، ويندرج تحت كل تطبيق من هذه التطبيقات هدايات يحتاجها المحاور المسلم في تواصله مع الآخر.

الكلمات المفتاحية: الحوار، أسس، تطبيقات، الجدال، التواصل.

Dialog in Islam its foundation and applications

Nasser Mohammed Al-Sayed Ismail

Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Advocacy, Cairo, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email :nasermohamed.2013@azhar.edu.eg

Abstract:

With his people from the worshippers of the planets. Each of these applications includes gifts that the Muslim pivots need in their communication with the other.υThe research focuses on the basis of dialog in Islam and its applications by extrapolating the features of dialog in the Quran and the Sunna, which show us through Islam's veneration of man. One of the requirements of this honor is that man is not forced to believe what he does not want. the dialog of God with the angels, the dialog of God with the devil, the dialog of Al-Khalil Ibrahim with the plaintiff of divinity, and the dialog of Ibrahim

Keywords: Dialog, Foundations, Applications, Arguments, Communication.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الأزهر الشريف من أعظم وأقدم الهيئات في حمل لواء الإسلام، والدعوة إليه بالتي هي أحسن، بفهم السلف الصالحين، القائم على الاعتدال والوسطية، التي هي لُحمة الإسلام وسُداه، قال تعالى: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[٢].

وفي جهوده في هذا الصدد أصدر الأزهر -شراكة مع الكنيسة الكاثوليكية- "وثيقة الأخوة الإنسانية" تلك الوثيقة التي تستلهم توجيهاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

بل إن أساسها الأول قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بن جُدْعَانَ حِلْفًا، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوِ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"، وكان سبب الحلف أن قريشا كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان، والزبير بن عبد المطلب، فدعواهم إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابهما بنو هاشم، وبعض القبائل من قريش... قد سماهم ابن إسحاق، قال: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة... فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، فسَمّوا ذلك الحلف حلفَ الفضول؛ تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جُرهم[٣] على التناصف والأخذ للضعيف من

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم ٣٩.

(٣) قبيلة جرهم، نسبة إلى جرهم بن قحطان، وكانوا باليمن، ثم لما ملك يعرب بن قحطان ولى أخاه جرهم على الحجاز، ثم لم يزالوا ملوكا حتى نزل إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ مكة فنزلوا عليه وتزوج منهم، ثم استولوا على البيت، حتى جاءت قبيلة خزاعة فأخرجتهم من مكة فرجعوا إلى اليمن. انظر: نهاية

القوى، وللغريب من القاطن، قام به رجال من جُرهم يقال لهم: الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضيل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعا لأسماء هؤلاء"[١].

وهنا توجيه صريح من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بإمكانية التضامن والتحالف مع الجهات والهيئات غير الإسلامية، من أجل قضايا الحق والعدل وحقوق الإنسان، وهو حجة وأساس شرعي واضح أشد الوضوح على منهجية الإسلام في التعاطي العام مع قضايا العالم العادلة، والانخراط بقوة في شؤون العالم من أجل الصالح العام للإنسانية، ومَن أولى من الإسلام بذلك، وهو الذي جاء رحمة للعالمين، يهديهم الطريق الحق إلى ربهم، ويقيم بينهم موازين العدل؛ بصرف النظر عن أديانهم وألوانهم، ويخرجهم من ظلمات أنفسهم وقسوتها إلى أنواره ورحمته.

لقد حدد الإسلام دوائر التواصل بين الكائنات بما لا نعلم نظيرا له في دين أو فكر، وهي:

١- دائرة الأخوة الإسلامية: والتي تحدد حقوقا للمسلم على المسلم، من صور بيانها قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"[٢]، وثم توجيهات أخرى غيرها تبين حق المسلم على المسلم.

٢- دائرة الأخوة الإنسانية: وبيانها في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[٣]، ومنها قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

=

الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، أحمد بن علي ٢١١/١، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار العلم للملايين: بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

(١) السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني ٣٦٧/٦، حديث رقم ١٣٤٦١، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية: الهند، ١٣٤٤هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم ٢١٦٢.

(٣) سورة الإسراء: ٧٠.

وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[١]. فالبر والقسط هما خط التعامل مع غير المسلمين حين تتوفر الشروط التي تضمنتها الآية.

٣- دائرة الأخوة الكونية: ونعني بها تعامل المسلم مع الحياة والأحياء أرشد التعامل وأحكمه وأرقاه، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "أُحدٌ جبل يحبنا ونحبه"[٢]، فانظر كيف يُقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحب للطبيعة في أخشن صورها، الجبال، وإذا كان طبيعيا أن يُحب الإنسان الأماكن لما تحمله من ذكريات مثلا؛ فإن الأعجب أن يُثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو الذي لا ينطق عن الهوى- أن الطبيعة تُحِب! وهناك توجيهات نبوية بالرحمة بالحيوان، وعدم قطع الشجر المثمر، وغير ذلك مما مقتضاه صياغة المسلم، سوي الفكر والخلق والسلوك، الذي يعلم أن الكون كله بكل ما فيه صنعة الله، وأن الاعتداء على هذا الكون، هو في المقام الأول اعتداء على الله تعالى، وهذا أعظم مصادر صناعة الأمن في حياة الإنسانية، يكفله الإسلام اعتقادا، وليس ثقافة نظرية، أو معرفة مجردة غير قابلة للتطبيق.

وإن من صور عظمة هذا الدين الحوار، فإن الإسلام دعوة عالمية، ورسالة الله الأخيرة للإنسانية، والحوار من أهم وسائله للوصول إلى الآخر، وتبليغِ دين الله تعالى، والمتأمل في كلام رب العالمين، وسنة النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يلمح بجلاء أن الحوار ليس مجرد وسيلة، بل هو مبدأ، ومنهج، وقيمة إسلامية عظيمة، ينبني على احترام الإسلام للآخر، وتقديره لحريته في اختيار ما يشاء، وتبنِّي ما يريد، من غير إملاء، ولا قهر، ولا قسر.

وأما صواب ما اختار، أو عواقبه فهذا شيء بينه وبين ربه، يُحاسبه عليه.

إن أجلَّ المنح التي منحها الله لبني آدم الإرادةُ الحرة، وما ينبغي أن تُستلب هذه المنحة من الإنسان، يجب أن يعيش الإنسان حرا، ويموت حُرا، كما خلقه ربه حرا،

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص الثمر، حديث رقم ١٤٨١.

ومَنع أن يُقهر على ما لا يريد.

وأعني الحرية المنضبطة بالحفاظ على حقوق الآخرين، فإن انطلاق الإنسان بلا ضابط؛ فوضى، وإفساد في الأرض، ومجافاة لأسس الحوار ومقتضياته.

وفي هذا البحث سأتناول بإذن الله تعالى هذه المعاني بالتفصيل في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

تمهيد

تعريف الحوار:

التعريف اللغوي:

إذا يممنا وجوهنا شطر المعاجم العربية وجدنا أن "الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً"(١).

وكلمة الحوار تستمد من الأصلين الثاني والثالث، يقال: "حَوَرَ الخُبْزَةَ، إذا هيَّأها وأدارها ليضَعها في المَلَّة [الجَمْر]، والمِحْوَرُ: عُود الخبّاز. والمِحْوَرُ: العود الذي تَدور عليه البَكْرة... والحِوَارُ: ولدُ الناقة. ولا يزال حوارا حتى يفصل، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب. ويقال: كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا ولا حويرة، ولا مَحورة، ولا حِوارا، أي ما رد جوابا. واستحاره، أي استنقطه"(٢).

فهو مستمد من مراجعة الكلام وتردده بين طرفين.

التعريف الاصطلاحي:

وفي ضوء المعنى اللغوي، واستنباطا من صور الحوار في القرآن والسنة، يرى الباحث أن الحوار **اصطلاحا هو**: تبادل الكلام بين طرفين، لإثبات رؤية أحدهما، بناء على الحجة والدليل، وفق ضوابط وآداب.

مصطلحات مرادفة للحوار:

تعريف النقاش:

النقاش في اللغة: يقال: "نقَش ينقُش نقشاً، والنقش: نَتْفُكَ شيئاً -بالمنقاش- بعد

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء ١١٥/٢، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد ٦٤٠/٢، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، دار العلم للملايين: بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

شيء، والمناقشة في الحساب: ألا يدع قليلا ولا كثيرا"[١].

ويأتي معنى النقاش اصطلاحا من معناه اللغوي، فهو يعني التتبع الدقيق للمسائل التي يتم تناولها مع الآخر.

تعريف الجدل:

الجدل لغة، يُقال: "جادَلَهُ، أي خاصمه، مُجادَلةً وجِدالاً: والاسم الجَدَلُ، وهو شدّة الخصومة. وجَدَلتُ الحبلَ أَجْدُلُهُ جَدْلاً، أي فَتَلْتُهُ فتلاً محكماً"[٢]، و"رجلٌ جَدِلٌ مجِدالٌ أي خصِمٌ مِخصام ... وجُدُول الإنسان: قصب اليدين والرَّجلين. وإنسانٌ مَجدول الخلق أي: لطيف القصب. وجَديلُ النّاقةِ: زمامُها إذا كان مَجدُول الفتلِ"[٣]. وجَدَلتُه جدْلاً؛ فانجدلَ صريعاً، وأكثر ما يقال: جدلته تجديلا أي صرعته"[٤].

ومن تعريفاته الاصطلاحية أنه: دفع المرء خصمه عن فساد قوله، بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة"[٥].

فالمعنى الاصطلاحي ليس بعيدا عن اللغوي، فالجدال فتْلٌ وإحكام للحجج والبينات لغلبة الخصم، كما أنه صرْعٌ معنوي.

(١) العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو ٤١/٥، ٤٢، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دت، دار الهلال: القاهرة، دت.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ١٦٥٣/٤.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس، ٧٩/٦.

(٤) العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ٧٩/٦.

(٥) الكليات، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، ص٣٥٣، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، دط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

المبحث الأول

مقاصد الحوار في الإسلام

إن المتأمل في مسار الحوار في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف على مقاصد سِيق من أجلها، ويمكن إيجاز أهم هذه المقاصد فيما يلي:

أولا: طرح القضايا الكبرى (الإعلام بدور الإنسان المحوري في هذا الكون):

إن الحوار الأول في كتاب الله تعالى تضمن الإعلام بتتويج الإنسان سيدا في هذا الكون، بشروط التتويج وضوابطه التي وضعها الله تعالى، وهو على كل حال ضيف الشرف الأول على الله تعالى في كونه، فقد سخر الله تعالى له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وسِياق الحوار يشير إلى هذا، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[(١)]، وفي ذكر قصة آدم بعد ذلك إشارة إلى أن "النوع الآدمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود"[(٢)]، فقد "مهّد لهم سبيل العرفان، ونبّههم إلى ما خصّهم به من الإحسان، ثم علمهم علوّ الهمة"[(٣)].

وفي هذا التمهيد القدسي لخلافة الإنسان في الأرض، من دلائل تأهيل الله لآدم وذريته، ومحبته لهم، وتكريس حسن ظنه تعالى بهم، ومنافحته عنهم؛ ما ينبغي أن يكون قاعدة من قواعد التربية، التي يُربى النشء عليها، ويترعرعون في ظلالها، فاقهين لموقعهم في الوجود، ومكانتهم عند رب العالمين، ومقتضيات هذا من الالتزام بشرعه، ومجافاة عدوه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، ٧٢/١، ط٢، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٢، ١٤٢٤هـ.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ٧٤/١، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.

يقول البقاعي: "وجعل سبحانه هذا التذكير في سياقٍ داعٍ إلى عبادته، وقائدٍ إلى محبته، حيث متَّ إلى هذا النوع الآدمي بنعمه عليهم، وإحسانه إليهم، قبل إيجادهم، فذكر لهم ما حاجَّ به ملائكته عنهم، وما شرّف به أباهم آدم من العلم، وأمر الملائكة المقربين بالسجود له، ثم ما وقع لإبليس معه، وهما عبدان من عبيده، فتاب عليه، ولم يتب على إبليس، مع سبقه له بالعبادة، بل أوجب طرده وأبَّدَ بُعْدَه"[(١)].

"ويقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء، ولم يقل في شأن شيء منه ما قال في حديث آدم... والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصورة، ولم يقل إني خالق عرشا أو جنة أو ملكا، وإنما قال تشريفا وتخصيصا لآدم (إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[(٢)]، "وقد قص الله علينا في هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية ... وأبرز لنا الحكم والأسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هي سنته في مخاطبة الخلق وبيان الحق"[(٣)].

فساق الباري جل وعلا أشرف قضايا الخلق بالإعلام عنها بأسلوب الحوار.

وفي هذا الاحتفاء الإلهي بالإنسان، من إعداد الكون وتسخيره، وطريقة خلقه، والنفخ فيه من روح الله، والإعلام باستخلافه، وإسجاد الملائكة، ثم بعدُ إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ردٌّ على التيارات الفكرية التي تقطع الإنسان عن أصله الروحي، ومدده المعنوي، وتحصره مادة ثقيلة، وطبيعة آثمة، بل يُولد -في نظر البعض- ملوثا، يحمل أوزارا لم يرتكبها، ويُعفى منها بتضحيات لم يُقدمها!

ثانيا: تقليد شرف النبوة والرسالة:

وأبرز ما يظهر هذا المقصد في قصة سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وخاصة في سورة طه من الآية الحادية عشرة وحتى الآية الثامنة والأربعين.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ٧٤/١.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري، ٧٥/١.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ٢١٠/١، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

يقول عز من قائل: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)[١].

قال صاحب التحرير: "والضمير المشترك في (قَالَ أَلْقِهَا) عائد إلى الله تعالى على طريقة الالتفات من التكلم الذي في قوله (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ) دعا إلى الالتفات وقوع هذا الكلام حوارا مع قول موسى: (هِيَ عَصَايَ)"[٢].

---

(١) سورة طه: ٧: ٤٨.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ٢٠٧/١٦، دط، الدار التونسية: تونس،

وليس لأحد من أنبياء الله ورسله -في القرآن الكريم- مثلُ هذا الحوار المفصل، ولعل ذلك السر في اختصاص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه كليم الله، وأن الله تعالى كلمه تكليما.

وتضمن هذا الحوار القدسي المجيد ما يلي:

١- قواعد التوحيد التي علمها الله تعالى لكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي اصطنعه على عينه.

٢- إذا تعلقت قدرة الله تعالى بالأشياء؛ انتقلت عن طبيعتها التي لا نعلم لها غيرها إلى ما أراد الله تعالى، فتنقلب العصا الجامدة حية تسعى، وفي ذلك تثبيت لقلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل أن يخاطب بهذه المعجزة فرعون وقومه.

٣- الانتداب الإلهي لمهمة تبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه، وتزويده بمحتواها.

٤- طلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المعونة على المهمة من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وأن يؤازَر بهارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٥- امتنان الله تعالى على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدءا من حفظه من فرعون في بيت فرعون، وانتهاء بإنجائه من الغم بعد أن قتل -خطأ- نفسا من قوم فرعون.

ثالثا: إقامة الحجة على الطواغيت:

ومن شواهد هذا المقصد من مقاصد الحوار، محاجة الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمدعي الألوهية، قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[1].

=

١٩٨٤م.

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

"عن مجاهد قال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ)، قال: هو نمروذ بن كنعان"[١].

و"هذه الآية أصل في علم الجدل والمناظرة، قال العلماء: لما وصف إبراهيم ربه بما هو صفة له من الإحياء والإماتة، لكن له حقيقة ومجاز، وقصد الخليل الحقيقة؛ فزع نمروذ إلى المجاز تمويهاً على قومه، حيث قتل نفساً وأطلق نفساً، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، وجاء بأمر لا مجاز فيه، فبُهت وانقطع، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق"[٢]، "فأبطل الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة"[٣].

وقد كان النمروذ "إذا أتي بالرجلين قد تحتم قتلهما؛ فإذا أمر بقتل أحدهما، وعفا عن الآخر، فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ... بل هو تشغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات، من إحياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك، الذي لا بد من استنادها إلى وجوده ضرورة، وعدم قيامها بنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة؛ من خلقها، وتسخيرها، وتسيير هذه الكواكب، والرياح، والسحاب، والمطر، وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة، ثم إماتتها. ولهذا (قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت)، فقول هذا الملك الجاهل: (أنا أحيي وأميت)، إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عنى [مفهومه للإحياء والإماتة] فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل؛ إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل، ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ٣٧٠/١، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ص٦١، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨١م.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير ٣٤٢/١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

وغيرهم، ذكر دليلا آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود، (قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ... فبين ضلاله وجهله، وكذبه فيما ادعاه، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جَهلَة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به، بل انقطع وسكت؛ ولهذا قال: (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)[١].

فأقام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحجة القاطعة على طاغوت عصره، وقدّم مثلا أعلى للداعين إلى الله فيما ينبغي أن يكونوا عليه من صفاء الذهن، وثبات القلب، ورباطة الجأش، ووضوح الرؤية، عند مواجهة زيغ الباطل وانحرافه.

رابعا: تعرية الشر وكشف الباطل:

وأبرز نماذج هذا المقصد الحوار الذي دار بين الباري جل وعلا، وبين إبليس لعنه الله، والذي سجله القرآن الكريم في مواطن شتى من كتاب الله تعالى.

قال عز من قائل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)[٢].

ويظهر في هذا الحوار ملامح الفساد في كل فكر أرضي يقابل النص بالرأي والهوى.

حيث "يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح، ما أوقع اللعين فيها إلا حسده وكبره فإنهما يعميان البصائر. **الأول**: الاعتراض على ربه وخالقه ... ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله تعالى فيما لا يوافق هواه ... **الثاني**: الاحتجاج عليه بما يؤيد به اعتراضه،

(١) المرجع السابق، ٣٤٣/١، ٣٤٤.

(٢) سورة الأعراف: ١١: ١٨.

والمؤمن المذعن لا يحتج على ربه، بل يعلم أن لله الحجة البالغة. **الثالث**: جعْلُ امتثال أمرِ الرب تعالى مشروطا باستحسان العبد له وموافقته لرأيه وهواه، وهو رفض لطاعة الرب، وترفع عن مرتبة العبد، وتعالٍ منه إلى وضع نفسه موضع الند، وهو في حكم الدين كفر، وفي العقل حماقة وجهل[١]... **الرابع**: الاستدلال على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين، وهذا جهل ظاهر من وجوه: (أحدها) أن خيرية المواد بعضها على بعض ليس من الحقائق التي يمكن إثباتها بالبرهان، وإنما هي أمور اعتبارية تختلف فيها الآراء والأهواء... ثانيها: أن بعض الأشياء النفيسة أصلها خسيس، فالمسك من الدم، وجوهر الألماس من الكربون الذي هو أصل الفحم، والأقذار التي تعاف من مادة الطعام الذي يشتهى ويحب. ثالثها: أن الملائكة خلقوا من النور ... ولا شك في أن النور خير من النار... وقد سجد الملائكة المخلوقون من النور امتثالا لأمر الله تعالى... **الخامس**: ... لا نسلم أن النار خير من الطين، فإن جميع الأحياء النباتية والحيوانية في هذه الأرض مخلوقة من الطين بالذات أو بالواسطة، وهي خير ما فيها بكل نوع من أنواع الاعتبارات التي تعرفها العقول، وليس للنار أو لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها. **السادس**: أن اللعين غفل عما خص الله به آدم من خلقه بيده، والنفخ فيه من روحه، وجعْلِ استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه، ومن تشريفه بأمر الملائكة بالسجود له، وجعله بتلك المزايا أفضل من أولئك الملائكة، وهم أفضل من إبليس بعنصر الخلقة وبالطاعة. فهذه أصول الجهل والغباوة التي أوقع إبليس فيها حسده لآدم واستكباره عن طاعة الله بالسجود له. وأنت ترى أن أولياءه ونظراءه من شياطين الإنس مرتكسون فيها كلها والعياذ بالله تعالى"[٢].

وغالب الانحرافات الفكرية يرجع إلى شيء من أصول الضلال التي جمعها إبليس -عليه لعنة الله- في هذا الحوار، ويمكن إيجازها فيما يلي:

---

(١) عن محمد بن سيرين قال: أول من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. سنن الدارمي، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، ٢٨٠/١، حديث رقم ١٩٥، تحقيق: حسين الداراني، ط١، دار المغني: السعودية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير ا لمنار)، محمد رشيد رضا، ٢٩٣/٨ وما بعدها.

١- الاعتراض على الأمر الإلهي، وأسوأ ما يكون هذا ممن يعترف بالله ربا وخالقا، كما حدث من كفار قريش الذين اعترفوا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[١]، ثم هم بربهم يعدلون! ونظيرهم في هذا الزمان الحداثيون، الذين يزعمون أنهم مسلمون، ثم يعترضون على النصوص الشرعية الثابتة، أو يلوون أعناقها لتوافق أهواءهم.

ولئن كان للحداثي غير المسلم -تنزلا- عذرٌ في اعتراضه على الوحي، فما عذر من يدّعي أنه مسلم!

٢- الاعتراف بالله ربا وخالقا يستدعي -عقلا- الانصياع لأمره، والوقوف عند حكمه، وسياسة النفس والخلق بشرعه، واليونانيون في زعمهم أن الخالق "لم يخلق العالم من عدم ولا يُعنى به"[٢] والعلمانيون الذين يرفضون حكم الله حكماً بين خلقه، كل هؤلاء يترسمون خطى إبليس في اعترافه بالله ربا وخالقا، ثم يعترض على أمره! (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)[٣].

٣- الاستعلاء بالعنصر على الآخر -وهو أمر لا فضل لصاحبه فيه- كما فعل اليهود والنصارى بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعوب الله المختارة، وأنهم مُزكّون بأصل الخلقة -بصرف النظر عن أفعالهم- إنما يترسمون خطى زعيمهم في هذا الضلال البعيد. والإسلام يُعلّمنا (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)[٤]، وقال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ)[٥]، فجعل معيار الفضل ما أنجزته يد

(١) سورة العنكبوت: ٦١: ٦٣.

(٢) الفكر الديني اليوناني، عصمت نصار، ص٩٠، دار الهداية: القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤.

(٤) سورة النجم: ٣٢.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

الإنسان، وليس ما ورثه أو وُهِبه مما لا فضل له فيه.

٤- إغفال الحقائق المؤيدة للخصم، والاجتزاء من الدليل بما يؤيد الحجة من العوار المفسد للحوار، وممن اتبع سنن إبليس في هذا اليهودُ فيما حكاه الله عنهم (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)[١].

ومن أعظم وأجل القيم الإسلامية العدل وإنصاف الخصم، والاعتراف بما له من فضل أو مميزات، قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ)[٢]، وقال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)[٣].

ومن أروع النماذج على إنصاف الآخر في الحوار، والاعتراف بما له من حق وفضل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار، لما وجدوا في أنفسهم عند توزيع غنائم هوازن وثقيف، "... قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ"[٤].

وما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليغمطهم فضلهم، وأياديهم في خدمة هذا الدين، فذكرها هو لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنصفهم؛ إذ منعهم الحياء من هذا، وذلك شأن كل شريف، تحكمه الأخلاق الكريمة، والقيم السامية.

خامسا: إزالة اللبس والرد على الشبهات:

إن مناظرة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لعبدة الكواكب أبرز مثال على هذا المقصد للحوار

---

(١) سورة المائدة: ٩١.

(٢) سورة آل عمران: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران: ١١٣.

(٤) مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ٢٥٣/١٨، حديث رقم ١١٧٣٠، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

في الإسلام.

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[١].

وليس هذا المقام مقام نظر، بل مقام حوار ومناظرة، ويدل على ذلك الإشارة القرآنية بإيتاء الله تعالى الحجة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه، وذلك لا يكون إلا في مقام الحوار والمناظرة.

والخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "إنَّما قَالَ: (هَذَا ربي) استدراجًا للحجَّة عَلَى قومه ليعيب آلهتهم أنّها ليست بشيء، وأن الكوكب والقمر والشمس أكبر منها ولسن بآلهة"[٢]؛ "فأراهم أنه معظّم ما عظّموا، وملتمس الهدى من حيث التمسوا. وكلّ من تابعك على هواك وشايعك على أمرك، كنت به أوثق، وإليه أسكن وأركن. فأنسوا واطمأنوا"[٣].

وفيه إمكان استخدام معتقدات الخصم، ومقاييسه، تنزلا لإثبات خطأه، ولإقامة الحجة عليه، فالخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "لما لم يجد إلى الدعوة طريقا سوى هذا

(١) سورة الأنعام ٧٥: ٨٣.

(٢) معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، ٣٤١/١، تحقيق: أحمد نجاتي وآخرين، ط١، دار المصرية: القاهرة، دت.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ص٢٠٢، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

الطريق، وكان مأمورا بالدعوة إلى الله تعالى؛ كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر، ومعلوم أنه عند الإكراه يجوز إجراء كلمة الكفر على اللسان، وإذا جاء ذلك لبقاء شخص واحدٍ فبأن يجوز لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد كان ذلك أولى، فكلام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان من باب الموافقة ظاهرا للقوم حتى إذا أورد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم له أتم وانتفاعهم باستماعه أكمل"[١].

ويؤكد هذا قوله تعالى: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)[٢]، والمعنى أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "أخبرهم عن نفسه أنه مريض، وأن الكوكب أعطاه ذلك"[٣]، فتذرع بمعتقداتهم ليصرفهم عن نفسه،

وتمهيدا لإقامة الحجة عليهم، وفيه كذلك "استعمال المعاريض والمجاز للمصلحة"[٤].

سادسا: تبليغ الدعوة:

هذا أبرز المقاصد وأوضحها، وقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف بقبائل العرب في مواسم الحج، وهو بمكة، ويحاور زعماء القبائل وغيرهم، تبليغا لدين الله تعالى، وتعريفا به.

وقد حصر الله تعالى مهمة الرسل جميعا ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحقيق البلاغ، فقال عز من قائل: (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)[٥]، وقال تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[٦]، وكتب السيرة تفيض بهذا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، ١٨٨/٤، تحقيق: علي عطية، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.

(٢) سورة الصافات ١٨٨، ١٨٩.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ٤٧٨/٤، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ.

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص٢١٨.

(٥) سورة المائدة: ٩٩.

(٦) سورة النحل: ٣٥.

النوع من الحوار.

ومن أبرز وأرقى حوارات تبليغ الدعوة، الحوار الذي دار بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع بني شيبان، وراوي الحديث سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

"قَالَ: ثُمَّ دُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ آخَرٍ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ شَيْبَانَ بن ثَعْلَبَةَ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي هَؤُلَاءِ غَرَرُ النَّاسِ، وَفِيهِمْ مَفْرُوقُ بن عَمْرٍو، وَهَانِئُ بن قَبِيصَةَ، وَالْمُثَنَّى بن حَارِثَةَ، وَالنُّعْمَانُ بن شَرِيكٍ... فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ الْعَدَدُ فِيكُمْ؟ فَقَالَ مَفْرُوقٌ: إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ، وَلَنْ تُغْلَبَ أَلْفٌ مِنْ قِلَّةٍ ... فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ؟ فَقَالَ مَفْرُوقٌ: إِنَّا لَأَشَدُّ مَا نَكُونُ غَضَبًا حِينَ نَلْقَى، وَإِنَّا لَأَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءً حِينَ نَغْضَبُ، وَإِنَّا لَنُؤْثِرُ الْجِيَادَ عَلَى الْأَوْلَادِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى اللِّقَاحِ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُدِيلُنَا مَرَّةً وَيُدِيلُ عَلَيْنَا أُخْرَى، لَعَلَّكَ أَخَا قُرَيْشٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، أَلَا هُوَ ذَا، فَقَالَ مَفْرُوقٌ: بَلَغَنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَاكَ، فَإِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُظِلُّهُ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِلَى أَنْ تُؤْوُونِي وَتَنْصُرُونِي، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ ظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللهِ، وَكَذَّبَتْ رُسُلَهُ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ، وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، فَقَالَ مَفْرُوقُ بن عَمْرٍو: وَإِلَامَ تَدْعُونَا يَا أَخَا قُرَيْشٍ، فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، فَتَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ... الآيات)[1]، فَقَالَ مَفْرُوقٌ: وَإِلَامَ تَدْعُونَا يَا أَخَا قُرَيْشٍ... قَالَ: فَتَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [2]، فَقَالَ مَفْرُوقُ بن عَمْرٍو: دَعَوْتَ وَاللهِ يَا أَخَا قُرَيْشٍ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَلَقَدْ أَفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ، وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ هَانِئُ بن قَبِيصَةَ، فَقَالَ: وَهَذَا هَانِئٌ شَيْخُنَا وَصَاحِبُ

(١) سورة الأنعام: ١٥١، ١٥٣.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

دِينِنَا، فَقَالَ هَانِئٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتْكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ، إِنِّي أَرَى أَنَّ تَرْكَنَا دِينَنَا واتِّبَاعَنَا عَلَى دِينِكَ لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إِلَيْنَا، لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ؛ أَنَّهُ زَلَلٌ فِي الرَّأْيِ، وَقِلَّةُ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْعَجَلَةِ، وَمِنْ وَرَائِنَا قَوْمٌ نَكْرَهُ أَنْ يُعْقَدَ عَلَيْهِمْ عَقْدٌ، وَلَكِنْ نَرْجِعُ وَتَرْجِعُ وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرُ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ الْمُثَنَّى بن حَارِثَةَ، فَقَالَ: وَهَذَا الْمُثَنَّى بن حَارِثَةَ شَيْخُنَا وَصَاحِبُ حَرْبِنَا، فَقَالَ الْمُثَنَّى بن حَارِثَةَ: سَمِعْتُ مَقَالَتْكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ، وَالْجَوَابُ فِيهِ جَوَابُ هَانِئِ بن قَبِيصَةَ فِي تَرْكِنَا دِينِنَا وَمُتَابَعَتُكَ عَلَى دِينِكَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَزَلْنَا بَيْنَ صُرَيَّيْنِ الْيَمَامَةِ، وَالسَّمَامَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَانِ الصُّرَيَّانِ[1]؟ فَقَالَ: أَنْهَارُ كِسْرَى وَمِيَاهُ الْعَرَبِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَنْهَارِ كِسْرَى فَذَنْبُ صَاحِبِهِ غَيْرُ مَغْفُورٍ وَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي مِيَاهَ الْعَرَبِ فَذَنْبُ صَاحِبِهِ مَغْفُورٌ وَعُذْرُهُ مَقْبُولٍ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نُحْدِثَ حَدَثًا، وَلَا نُؤْوِي مُحْدِثًا، وَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ يَا قُرَشِيُّ مِمَّا يَكْرَهُ الْمُلُوكُ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نُؤْوِيَكَ وَنَنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي مِيَاهَ الْعَرَبِ فَعَلْنَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَسَأْتُمْ فِي الرَّدِّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ دِينَ الله لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يُورِثَكُمُ الله أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَيُفْرِشَكُمْ نِسَاءَهُمْ، أَتُسَبِّحُونَ الله وَتُقَدِّسُونَهُ؟ فَقَالَ النُّعْمَانُ بن شَرِيكٍ: اللهُمَّ فَلَكَ ذَلِكَ قَالَ: فَتَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [2]، ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِضًا عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَيَّةُ أَخْلَاقٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَشْرَفُهَا بِهَا يَدْفَعُ الله عَزَّوَجَلَّ بَأْسَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ، وَبِهَا يَتَحَاجَزُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ"[3].

وقد تضمن هذا الحوار من كفاءة المحاورين، ووضوح رؤيتهم، وبلاغة أطراف الحوار أمثلة تُحتذي، واستحقت شيبان -وإن تمهلوا في أمرهم- ثناء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) صَرَي الماءَ يَصْرِيه: جمعه. مقاييس اللغة لابن فارس، ٣٤٦/٣. وسميت الأنهار بذلك لأنها تجمع الماء.
(٢) سورة الأحزاب ٤٦، ٤٧.
(٣) دلائل النبوة، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي ٤٢٤/٢: ٤٢٦، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

على حكمتهم وشريف أخلاقهم.

وواجب الدعاة إلى الله تعالى أن يمتثلوا هذا الهدى النبوي الشريف، في تأليف قلوب المدعوين، والبحث عن جسور التواصل معهم، وأن يُنزهوا الدعوة من السب والشتم للجاهلية وأهلها، والذي يُنفر الناس منهم ومن دعوتهم.

لقد كان أدبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في محاورة عتبة بن ربيعة سببا في عودته لقومه بغير الوجه الذي ذهب به، ودعوته لهم أن يخلوا بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين دعوته[(١)].

وكذلك كان أدب الحوار من سيدنا مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تبليغه الدعوة في المدينة المنورة سببا في إسلام سيدي بني عبد الأشهل "سعد بن معاذ وأسيد بن حضير"، وقد جاءا متشتمين قائلين: "ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة"، فكان جوابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره"[(٢)].

وكتب السيرة النبوية تفيض بمئات الشواهد على استخدام الحوار لتبليغ الدعوة.

سابعا: نصرة الحق:

ونموذج هذا المقصد قصة مؤمن آل فرعون، وقصة مؤمن آل ياسين.

١- قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ

(١) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم، ٢٣٣/١.تحقيق: محمد رواس، وعبد البر عباس، ط٢، دار النفائس: بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ٦٢/٤، تحقيق: عمر السلامي، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[١].

وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)[٢].

لقد وجد مؤمن آل فرعون لنفسه مجالا دعويا يُناصر به رسالة جاء بها رسولان كريمان، موسى وهارون عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، قام يُناصر دين الله تعالى، مقيما الحجة على أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وجوب اضطلاعهم بمسؤولية الدعوة إلى الدين ونصرته، وإذا كان مؤمن آل فرعون قام ظهيرا لرسولين كريمين، فقيام الأمة واضطلاعها بمسؤولية نصرة الحق والدعوة إليه أوجب، إذ انقطعت النبوة والرسالة، وبقي النداء النبوي لعموم المسلمين "بلغوا عني ولو آية"[٣].

والاستفهام في (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) استفهام إنكار، أي يقبح بكم أن تقتلوا نفسا؛ لأنه يقول ربي الله! أي ولم يجبركم على أن تؤمنوا به، ولكنه قال لكم قولا، فاقبلوه أو ارفضوه"[٤].

---

(١) سورة غافر: ٣٠: ٣٣.

(٢) سورة غافر: ٣٨: ٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٢٩/١٢٤.

ويُستنبط منه كذلك أنه لا ينبغي أن تكون معالجة الفكر بالقتل، لا سيما إذا كان مدعوما بالشواهد الدالة على صدقه.

وفي قوله (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) تأصيل للتلطف في الحوار، وحسن التأتي، ومراعاة نفس الآخر، وعدم مصادمته صراحة. فمؤمن آل فرعون قد "احتاط لنفسه خشية أن يعرف اللعين حقيقة أمره، فيبطش به، فتلطف به الاحتجاج فقال: (وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) لا يتخطاه وبال كذبه... (وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) فلا أقل من أن يصيبكم بعض الذي يعدكم به"[(١)].

والمتأمل للآيات الكريمة يقف على صدق اللهجة، والاحتراق للدعوة، واستخدام كل الأساليب المنطقية والعقلية والعاطفية لنصرة الدين والمرسلين.

٢- قصة مؤمن آل ياسين من أروع نماذج نصرة الحق، قال تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)[(٢)].

وعلى الرغم من ثلاثة الرسل المضطلعين بمهمة تبليغ الرسالة؛ قام هذا المؤمن يناصر رسالة الحق، مقيما الحجة عليهم بما يلي:

١- مجيئه من أقصى المدينة يشتد معضدا رسل الله الثلاثة.

٢- إن المرسلين لم يسألوا الناس أجرا؛ فلا مصلحة دنيوية يرتجونها من هذه الدعوة.

٣- إن العقل والفطرة تقتضي أن يعبد الإنسان فاطر السموات والأرض، ولا منطق

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ٣١٨/١٢.

(٢) سورة يس ٢٠: ٢٧.

أبدا في عبادة تلك المعبودات المصنوعة التي لا تملك نفعا ولا تدفع ضرا.

٤- قيل "إِنَّهُمْ وَطِئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى خَرَجَ قُصْبُه[١] مِنْ دُبُرِهِ، وَقَالَ الله لَهُ: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ)، فَدَخَلَهَا فَهُوَ يُرْزَقُ مِنْهَا، قَدْ أَذْهَبَ الله عَنْهُ سُقْم الدُّنْيَا وَحُزْنَهَا ونَصَبَها ... وتمنى على الله أن يُعلم قومه ما عاين من كرامة الله ... قال ابن عباس: نصح قومه في حياته، وبعد مماته"[٢].

ثامنا: إبراز خصائص الكافرين:

وأبرز هذه الخصائص التي عرضها القرآن الكريم في قالب حواري ما يلي:

١- الاستبداد الفكري:

قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[٣]، وإنما "قالوه على سبيل الاستهزاء، وعدل المؤمنون عن الجواب بـ"نعم" تنبيها على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل، ويخفى على ذوي رأي"[٤].

إن الاستبداد هو أهم خصائص الضلال الفكري في كل زمان ومكان، حيث لا يدع مجالا للآخر للنظر أو للعيش، ولسان حالهم قديما وحديثا "من ليس معنا فهو علينا"، وشعارهم قول فرعون (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[٥].

---

(١) القُصب: ما كان أسفل البطن من الأمعاء. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، محمد بن عمر بن أحمد ٧١٢/٢، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مركز إحياء التراث الإسلامي: جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٥٧٢/٦.

(٣) سورة الأعراف: ٧٥: ٧٧.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبد الله بن عمر ٢١/٣، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤١٨هـ.

(٥) سورة غافر: ٢٩.

وأما الدين الحق فإنه يسمح للناس باختيار عقائدهم (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[١]، وحسابهم على الله، بل إن استخلاف الإنسان في الأرض، وحرية الإرادة التي ميزه الله تعالى بها، إنما كانت عن اختيار منه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)[٢].

٢- التنصل من المسؤولية:

يبرز القرآن الكريم هذه الخصيصة عند المشركين في أسلوب حواري تربوي بليغ، قال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[٣].

ويقول تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)[٤]، وإمامهم إبليس الذي حكى الله تعالى عنه (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)[٥]، وقال تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٦]، ويظل هذا شأنه وديدنه حتى القيامة، قال تعالى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) سورة سبأ ٣٢، ٣٣.

(٤) سورة البقرة ١٦٦، ١٦٧.

(٥) سورة الحشر: ١٦.

(٦) سورة الأنفال: ٤٨.

تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[١].

وفي هذا السياق الحواري مظهر من مظاهر رحمة الله بالأمة، يكشف لها حقيقة الباطل المهترئ داخليا، حتى لا يغرهم بُهرجه وزخرفه.

٣- نصرة الباطل والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

وأبرز نماذج هذه الخصيصة ما دار بين فرعون وملأه من حوار حول موقفهم من موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)[٢].

وقال تعالى: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)[٣].

وهذه حكاية "محاورة بين ملأ فرعون وبينه في وقت غير وقت المحاورة التي جرت بين فرعون والسحرة، فإنهم لما رأوا قلة اكتراث المؤمنين بوعيد فرعون، ورأوا نهوض حجتهم على فرعون وإفحامه، وأنه لم يحر جوابا، راموا إيقاظ ذهنه، وإسعار حميته، فجاؤوا بهذا الكلام المثير لغضب فرعون، ولعلهم رأوا منه تأثرا بمعجزة موسى وموعظة الذين آمنوا من قومه"[٤].

٤- قلق الباطل وزُهوقه:

ويظهر ذلك جليا في حوار الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٩: ١١١.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ٥٧/٩.

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[١].

كسّر الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الأصنام "فجعلهم -بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم- فُتاتا بفأس، إلا كبيرا لهم علّق الفأس على عنقه"[٢].

ويظهر هذا القلق من سؤال "بعضهم لبعض: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ بهذا السؤال أو بعبادة مَن لا ينطق، ولا يضر ولا ينفع، لا من ظلمتموه بقولكم: إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، ثم انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه وقرئ «نُكِّسُواْ» بالتشديد و «نَكَسُوا» أي نكسوا أنفسهم. لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ فكيف تأمرنا بسؤالها!"[٣].

ومصدر زُهوق الباطل الانفصام بين واقعهم وبين الفطرة ودلائل الحق العقلية التي يأتي بها المرسلون.

وهذا المعاني جميعها تأتي في أسلوب الحوار القرآني الكاشف عن خصائص الكافرين.

تاسعا: إعلان المبادئ والثبات على الحق:

من مقاصد الحوار في القرآن الكريم كذلك إعلان أهل الحق مبادئهم، وثباتهم على الحق في مواجهة تغول الباطل واستبداده، قال عز من قائل: (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ

(١) سورة الأنبياء: ٥٨: ٦٧.

(٢) تفسير الجلالين، المحلي، محمد بن أحمد، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ص٤٢٦، ط١، دار الحديث: القاهرة، دت.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ٥٥/٤.

الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)[١].

وقال تعالى: (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)[٢].

فلما "طلعت في أسرارهم شموس العرفان، وانبسطت عليهم أنوار العناية؛ أبصروا الحقّ سبحانه بأسرارهم، فنطقوا ببيان التصديق، وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم، ولم يحتشموا مما توعدهم به من العقوبة، ورأوا ذلك من الله فاستعذبوا البلاء، وتحملوا اللأواء، فكانوا في الغداة كفارا سحرة، وأمسوا أخيارا بررة، وعلموا أنّ البلاء في الدنيا ينقضى وإن تمادى، وينتهى وإن تناهى"[٣]، وفيه دلالة على إمكان اكتمال بنيان الإيمان في الزمن الوجيز، فهؤلاء الذين كانوا منذ قليل يقولون "بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ"[٤] إذا بهم يُعلنون إيمانهم في مواجهة البغي الفرعوني الغاشم غير آبهين بغشْمه وعنفه وفساده.

عاشرا: تبكيت الكافرين ومؤانسة المؤمنين:

وأبرز نماذج هذا المقصد ما يدور من حوار بين خزنة النار والكافرين، وبين خزنة

(١) سورة الأعراف: ١٢١، ١٢٥.
(٢) سورة طه ٧٠: ٧٦.
(٣) لطائف الإشارات للقشيري، ٤٦٦/٢.
(٤) سورة الشعراء: ٤٤.

الجنة والمؤمنين.

يقول تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)[١].

و"المراد بسوق أهل النار؛ طردهم إليها بالهوان والعنف... والمراد بسوق أهل الجنة؛ سوق مراكبهم، لأنه لا يُذهب بهم إلا راكبين ... فشتان ما بين السوقين"[٢].

ف"الكفار يُساقون إلى النار عنفا، والمؤمنون يساقون إلى الجنة لطفا ... فإذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالتوبيخ والعتاب والتأنيب فلا تكريم ولا تعظيم، ولا سؤال ولا استقبال، بل خزى وهوان، ومن كل جنس من العذاب ألوان. [وأما المؤمنون فـ] سوّق ولكن بغير تعب ولا نصب، سوق ولكن بروح وطرب"[٣]. (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)[٤].

فهذا حوار بين خزنة الجنة وخزنة النار من جانب، وبين المؤمنين والكافرين من جانب آخر، يتضمن تبكيتا وتوبيخا للكافرين، وبشارة ومؤانسة للمؤمنين.

تلك أهم مقاصد الحوار في الإسلام، ويمكن ردُّ ما عداها من النماذج إليها.

---

(١) سورة الزمر: ٧١: ٧٤.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد ١٤٧/٤، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري، ٢٩٣/٣.

(٤) سورة الرعد: ٢٣، ٢٤.

المبحث الثاني

أسس بناء الحوار في الإسلام

إن الحوار في الإسلام ليس رفاهية تكون أو لا تكون، وليس منّة يُحسن بها الإنسان إلى أخيه الإنسان، ولكنه حق واجب إذا تعلق بمصالح الإنسانية المادية والمعنوية، فإنه لا ينبغي أن يُبتَّ في شؤون الإنسان، أو يُفرض عليه شيء؛ طالما كانت لديه صلاحيات النظر والاختيار.

وينبني الحوار في الإسلام على أسس، منها:

١-الحوار مقتضى تكريم الإنسان:

إن من مقتضيات تكريم الإنسان في القرآن الكريم ألا يُراد على ما لا يريد.

ولقد جاء تكريم الإنسان في القرآن على أنحاء متعددة؛ مما يؤكد أهمية هذا البيان، كتأسيس لكثير من حقوق الإنسان، ومن صور تكريم بني آدم ما يلي:

أ- تكريم بأصل الخلقة:

يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[(١)]، "قيل في تكرمة ابن آدم: كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم"[(٢)].

ومقتضى تزويد الإنسان بهذه النعم أن ينظر في أموره ويختار ما يشاء، ويعبر عن ذلك حرا آمنا.

"والمراد ببني آدم جميع النوع ... وقد جمعت الآية خمس منن: التكريم، وتسخير

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري ٢/٦٨٠.

المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات. فأما مِنَّة التكريم فهي مزية خَص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريما، أي نفيسا غير مبذول، ولا ذليل في صورته، ولا في حركة مشيه، وفي بشرته، فإنَّ جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس، ولا ترفيه المضجع والمأكل، ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب، ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره، ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها، والقبائح فيسترها ويدفعها... وقد مثَّل ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للتكريم بأن الإنسان يأكل بأصابعه، يريد أنه لا ينتهش الطعام بفمه بل برفعه إلى فيه بيده، ولا يكرع في الماء بل يرفعه إلى فيه بيده، فإن رَفَعَ الطعامَ بمغرفةٍ، والشراب بقدح؛ فذلك من زيادة التكريم، وهو تناول باليد"[١].

إن التكريم هنا لجميع بني آدم، بصرف النظر عن أديانهم وألوانهم، فهو تكريم لمجرد القصد الإلهي بأن يَخْلُقَه آدميا، وهو حق لبني آدم جميعا، وهو مبني على أساس عقدي دل عليه قوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)[٢].

فالكل أمام الله سواء، الكل مخلوقون له، مربوبون له وحده لا شريك له، فلا يُحابي أحدا على أحد بناء على أصل الخلقة، وإنما يحاسب الجميع على ما قدمت أيديهم، فتفاوتُ الخلق أمام الله تعالى إنما يكون بناء على ما قدمت أيديهم، وفق موازين الفطرة التي يستوي فيها جميع بني آدم، ووفق معايير الأمر الإلهي بالفعل أو الترك، حسب ما جاء به أنبياء الله ورسله.

ب- تكريم بتسخير الكون:

يقول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٣]. والتسخير: تذليل الشيء للتصرف"[١].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ١٦٥/١٥، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

(٢) سورة الإخلاص: ٣.

(٣) سورة الجاثية: ١٢، ١٣.

قال ابن عباس: كل ذلك رحمة منه لكم. وقال الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان"[٢].

وذلك لبني آدم جميعا.

وعليه فإن الإنسان مُكرم، وحق هذا الكائن المكرم أن يُحاوَر ويُناقَش، ويَختار لنفسه دون قهر أو إملاء، إذ إنه مُحاسب على اعتقاده، مُحاسب على أعماله، ويتحمل تبعتها، مع مراعاة أن البداهة، ومسلمات العقول الرشيدة تقتضي أن يكون كل ذلك في إطار مراعاة ضوابط الحريات.

ج- تكريم بعهد الفطرة الأول:

فالله تعالى زود كل آدمي -شاء أن يخلقه- بالفطرة التي لا تُبدَّل ولا تُغيّر، وهي -إن سلمت نفس صاحبها من الهوى والزيغ- قاعدة القبول لهدايات الدلالة التي يُبعث بها الأنبياء والمرسلون[٣].

يقول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[٤].

---

(١) تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن ص ٤٠٨، تحقيق: علال بندويش، ط١، جامعة أم القرى: السعودية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٢) التفسير الوسيط، الواحدي، علي بن أحمد بن محمد ٩٦/٤، تحقيق عادل عبد الموجود وزملائه، ط١، المكتبة العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(٣) قال ابن القيم: فرُسُلُه الهُداةُ هدايةَ الدلالة والبيان، وهو الهادي هداية التوفيق والإلهام، فالرسلُ هم الأدلة حقا، والله سبحانه هو الموفق المُلهم، الخالق للهدى في القلوب. مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ٦٢/٨، جمع وترتيب: عبد الرحمن القماش.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٢: ١٧٤.

ويحتج الله تعالى به على عباده يوم القيامة: فيقول عز من قائل: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)[١].

ووجه التكريم هنا أن الله تعالى -كما هيأ الأرض وما فيها مسخرة لبني آدم- لم يتركهم نهبا لعقولهم وأنفسهم مجردة، بل غرس في نفس كل حي قواعد المعرفة والقبول لهداياته.

د- تكريم بالعناية والتوجيه:

وتتمثل عناية الله تعالى وتوجيهه لعباده في صور الخطاب القرآني العام، والتي يُراد بها بني آدم جميعا، مما يتضمن التذكير بنعم الله، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والإلهام بما تصلح به حياتهم ومعايشهم، يقول تعالى: (فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)[٢]، ويقول تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[٣].

ويقول عز من قائل: (يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)[٤].

و"السوأة في الأصل: الفرج، ثم نُقل إلى كُل ما يُستحيا منه إذا ظهر من قول أو فعل"[٥].

فالله تعالى هو الذي ألهم آدم وذريته الحياء من ظهور هذا الجزء من أبدانهم،

---

(١) سورة يس: ٦٠: ٦٢.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

(٣) سورة فاطر: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف: ٢٦، ٢٧.

(٥) لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ٩٧/١، ط٣، دار صادر: بيروت، ١٤١٤هـ.

وهو سبحانه الذي ألهمهم كيفية الستر، بـ"لباس يواري سوآتهم، ولباس آخر يزينهم"[١]، وهذا مفهوم التعبير بالتنزيل، فكأنه عِلْمٌ أُلهم به آدم وذريته من الله تعالى، وعَلَّمهم كذلك أن أولى الستر؛ ستر النفس بتقوى الله تعالى.

وهذا الحياء الفطري -عند عموم بني آدم- من ظهور العورة من أدق الدلائل على أن قوة عليا زودت هذا الكائن بما لا يد له فيه، وفيه رد عقلي على نفي الملحدين وجود الخالق المبدع سبحانه.

وقبل كل هذا؛ فإن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ومقتضى هذا التكريم الإلهي لبني آدم أن يختار لنفسه، وأن لا يُراد على ما لا يريد.

٢- قيام الحوار على حرية الإرادة:

يقول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[٢].

والأمانة كل "ما في فعله ثواب، وفي تركه عقاب"[٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قَالَ: "قِيلَ لِآدَمَ أَتَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا، فَإِنْ أَطَعْتَ غَفَرْتُ، وَإِنْ عَصَيْتَ حَذَّرْتُكَ؟ قَالَ: قَبِلْتُ. قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أَصَابَ الذَّنْبَ"[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد ٩٧/٢، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) تفسير الجلالين، محمد بن أحمد المحلي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص٥٦١، ط١، دار الحديث: القاهرة، دت.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد ٤٩٦/٢، حديث رقم ٣٦٣٧، تحقيق: مقبل الوادعي، دط، دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

إن الله تعالى لم يُكلف عباده إلا بإرادتهم، وطِيب نفس منهم، ورفع التكليف أيضا عن باقي المخلوقات بإرادتها واختيارها.

وهذا -لعمري- من أعظم الشواهد على أن الحوار وما يترتب عليه عقيدة ومنهج في هذا الدين.

وأما ما لا يدخل فيه الاختيار؛ فإن الله تعالى تكفل به لعباده، ودبر أمره على الذي هو أحسن، (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)[١]، وأعني بذلك طريقة عمل جسم الإنسان، والتي تسير سيرة إعجازية، ولا عمل له فيها، إنما يسيرها الخالق المبدع سبحانه.

٣- قيام الحوار على الرحمة:

يقوم الحوار في الإسلام على الرحمة، ومقتضاها الرغبة في الأخذ بيد الآخر لما نعتقد أنه الهداية والصواب، عن طريق الحجة والإقناع، والجدال بالتي هي أحسن.

إن القسوة الإملاء والقهر والقسر أدواء بشرية، يقهر بها الإنسان أخاه الإنسان (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[٢].

وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)[٣].

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ)[٤].

هذا عمل الإنسان المخلوق مع أخيه الإنسان، يقهره، ويُذله، ولا يقيم له ولا لرأيه وزنا.

---

(١) سورة الانفطار: ٧، ٨.

(٢) سورة غافر:٢٩.

(٣) سورة الأعراف: ٨٨.

(٤) سورة إبراهيم: ١٣.

قارن هذا بقوله الخالق العظيم: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[١].

والمعنى: "إنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضًا لضالون أو مهتدونَ، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال... وَفِي كلام العرب كَثِير: أن يوّجه الكلام إلى أحسن مذاهبه"[٢].

ولقد وجه بعض المفسرين الآية إما على الاستهزاء من الكفار، أو على أن (أو) في الآية بمعنى الواو، والمعنى "إنا لعلى هدى، وإياكم في ضلال مبين"[٣].

"والصواب من القول أن ذلك أمر من الله لنبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه، وهو يريد تكذيبه في خبر له: أحدنا كاذب، وقائل ذلك يعني صاحبه، لا نفسه" فلهذا المعنى صير الكلام بأو"[٤].

ولو أننا بحثنا عن عنوان للموضوعية في أجلى صورها؛ لكانت هذه الآية أدل مثال على ذلك على الإطلاق.

ومثل هذا في الدلالة على الموضوعية في الحوار، قوله تعالى: (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[٥].

"وهذا أدب حسن علّم الله سبحانه فيمن جادل على سبيل التعنّت والمراء كفعل السفهاء أن لا يجادل ولا يناظر، ويدفع بهذا القول الذي علّمه الله سبحانه لنبيّه

(١) سورة سبأ: ٢٤، ٢٥.
(٢) معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله ٣٦٢/٢، تحقيق: أحمد النجاتي وزميليه، ط١، دار المصرية: القاهرة، دت.
(٣) مجاز القرآن، معمر بن المثني التيمي المصري، ١٤٨/٢، تحقيق: محمد سزكين، دط، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٣٨١هـ.
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٨٩/١٩.
(٥) سورة الحج: ٦٧: ٦٩.

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ"[١].

فعلى الرحمةِ وبها يقومُ الحوار في الإسلام، على الرغبة الصادقة في الأخذ بيد الآخر نحو الأمن والأمان.

تلك الروح التي يمثلها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه" سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا"[٢].

"وفي الحديث ما كان فيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة كما قال تعالى (حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقوله: بحُجَزكم، وهي معقد الإزار ومن السراويل موضع التكة"[٣].

فأيُّ جلال وجمال وكمال يُضارعُ هذا الجلالَ والجمال والكمال في دين الإسلام؟!

٤- احتكام الحوار إلى العلم:

عاتب القرآن الكريم أولئك الذين يتجرؤون - في حوارهم - على الادعاء دون علم، ويقيمون ادعاءاتهم على الظن، قال تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[٤].

والمعنى: "وما أنتم في ذلك كله إلا تتقولون الباطل على الله، ظنا بغير يقين علم،

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعالبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ٣٣/٧، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، حديث رقم ٦٤٨٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر، أحمد بن علي، ٣١٨/١١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) سورة الأنعام: ١٤٨، ١٤٩.

ولا برهان واضح"[١].

واليقين الواضح الذي تجنبوه؛ هو خطابهم بالتكاليف الشرعية، فتركوا هذا اليقين إلى ظنهم أنهم مُجبرون في أفعالهم، وأن الله كتب عليهم ما فعلوا وما سيفعلون. والحق أنهم لم يطلعوا على ما كتبه الله عليهم، ولا حجة لهم فيما زعموه إلا الظن، والرغبة في الانفلات من التكاليف الشرعية، والاعتذار الواهي عن كفرهم وانفلاتهم.

وفي القرآن عتاب متكرر لأولئك المتقولين؛ أنه ليس لهم فيما ذهبوا إليه من علم ولا حجة ولا برهان، وحجتهم الداحضة الظنُّ وما تهوى الأنفس.

يقول تعالى: (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)[٢].

ويقول جل وعلا: (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)[٣].

ويقول عز من قائل: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى [٤].

ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [٥].

فانظر إلى أي مدى يُعظم الإسلامُ العلم، ويجعله أساس الحوار ومنطلقه بين الخلق، ويعيب على أولئك السادرين في الغواية، البانين آراءهم على الظن والتخمين وأهواء نفوسهم.

والعجيب أن يتجرأ هؤلاء وأذنابهم في العصر الحديث على الالتحاف بالعقلانية

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٦٥٢/٩.
(٢) سورة الأنعام: ١١٦.
(٣) سورة يونس: ٦٦.
(٤) سورة النجم: ٢٣.
(٥) سورة النجم: ٢٨.

والعلم -وهم أبعد الناس عن ذلك- ويتهمون الإسلام بمجافاة العقل والعلم!

٥- احتكام الحوار إلى الأصول المعتبرة عند بني آدم:

وأعني بها الكتب المقدسة عند أصحابها، والفطرة، والعقل، فيحتكم أصحاب كل دين إلى الأصول التي يؤمنون بها، فإذا اختلفت الأديان فيحتكمون إلى الفطرة، وإلى العقل، وقد يحتج كُلٌّ على كُلٍّ بنصوص من مصادر التشريع عند الآخر، ويظهر هذا واضحا في مجال المناظرة، حيث يقوم المناظر المسلم بالاحتجاج من كتب اليهود والنصارى لإثبات صدق ما يقول، ويحتج المناظر المسيحي أو اليهودي على ما يعتقد صدقه بما في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أما ما سوى ذلك -مما لا يندرج تحت أصل معترف به، أو حجة عقلية، فإنه يكونا ظنا وتوهما لا ينبغي الالتفات إليه، أو الاهتمام به؛ إذ إنه غير منضبط بقاعدة يُصار إليها عند الحوار.

فحينما ظهر الإسلام كان يحتج على الناس بالفطرة والعقل.

كما كان يقيم الحجة بمجرد قراءة القرآن العظيم؛ حيث إن في القرآن الكريم سرُّ الله الذي يتجاذب مع الفطرة، تلك الفطرة التي هي أثمن ودائع الخالق البارئ في نفس كل آدمي.

نعم، لقد كانت قراءة القرآن الكريم -أول الإسلام- هي مادة الحوار والنقاش مع الآخر لإقناعه بدين الله تعالى.

وقصة الحوار الذي دار بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والوليد بن المغيرة، وبين عتبة بن ربيعة قصة معلومة، وتأثرهما به؛ رغم عداوتهما الشديدة للنبي وللإسلام[١] مما يدل على أن الفطرة السليمة هي نقطة الجاذبية مع كتاب الله تعالى.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، ١٥٦/١، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٠هـ. وانظر: دلائل النبوة لأبي نعيم، ٢٣٣/١.تحقيق: محمد رواس، وعبد البر عباس، ط٢، دار النفائس: بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

وعن طريق الحوار أيضا أسلم سيدا بني عبد الأشهل "سعد بن معاذ وأسيد بن حضير" في المدينة؛ بمجرد أن قرأ عليهم "مصعب بن عمير" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرآن الكريم، وقد كانوا غضبوا أشد الغضب لدخوله عليهم، ودعوته الناس إلى الإسلام بصحبة "أسعد بن زرارة"، فمع غضبهم، وحرصهم على منعه مما يفعل؛ ما إن سمعوا كلام الله تعالى -واحدا تلو الآخر- حتى دخلوا في دين الله تعالى بمجرد سماعهم كلام رب العالمين"[١].

ومن ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قابل سويد بن صامت في أحد مواسم الحج، "فَدَعَاهُ إِلَى الله وَإِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فَلَعَلّ الّذِي مَعَك مِثْلُ الّذِي مَعِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وَمَا الّذِي مَعَك"؟ قَالَ: مَجَلّةُ لُقْمَانَ - يَعْنِي حِكْمَةَ لُقْمَانَ- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اعْرِضْهَا عَلَيّ "فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ "إنّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ وَالّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ الله تَعَالَى عَلَيّ هُوَ هُدَى وَنُورٌ". فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ وَقَالَ إنّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ. ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ، فَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ إنّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ. وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ"[٢].

ومن الشواهد على هذا احتجاج جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي النجاشي على قومه بما لا شك فيه من التحول إلى الأرشد في الأخلاق والسلوكيات، حيث قال: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ، وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب ٤٣٦/١، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط٢، شركة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

(٢) الروض الأنف للسهيلي، ٤٠/٤.

الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ"[١].

فالتحول من سيء الأخلاق والسلوكيات إلى محاسنها مما تقبله الفطر السليمة، ويُعدّ حجة على صدق ما أدى إلى ذلك.

وفي كل هذا دلالة على تعظيم الحوار، واتخاذه أساسا -وليس القهر والغلبة- للدعوة إلى العقيدة، والعبادة، ومحاسن الأخلاق.

٦- احتكام الحوار إلى العلوم المعتبرة:

احتكم الإسلام إلى كفاءة العرب واقتدارهم اللغوي، في التفريق بين ما تعارفوا عليه من أصول القول وأفانينه شعرا ونثرا، وبين القرآن الكريم.

وقد كانت هذه الأعراف ناجعة في انتزاع الشهادة للقرآن الكريم، قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ"[٢].

والقريتان: "مكة والطائف أي لو كان هذا القرآن حقا لكان هذان الرجلان أحق به منك يا محمد؛ يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفي"[٣].

اجتمع أهل مكة للاتفاق على رأي في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبون به العرب في موسم الحج، وطلبوا من الوليد بن المغيرة أن يقول فيه قولا، فقال: "بل أنتم فقولوا أسمع ... قالوا: فنقول شاعر: قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر قال ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحارَ وسِحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا

(١) مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ٢٦٦/٣، حديث رقم ١٧٤٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن، هامش ١، ٢٦٨/٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

(٢) سورة الزخرف: ٣١.

(٣) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنين، محمد بن عبد الله بن عيسى ١٨٢/٤، ١٨٣، تحقيق: حسين عكاشة، محمد الكنز، ط١، الفاروق الحديثة: القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعَذِق -ويقال لَغَدِق[١]- وإن فرعه لجناة ... وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته؛ فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره"[٢].

فعل الرغم من دلالة المعارف المعتبرة عندهم، على أن القرآن على غير سننهم في البيان، وأنه نسيج وحده، وأنهم غير قادرين على الإتيان بمثله، إلا أنهم -ظلما وعلوا- زعموا أنه سحر، قالوا ذلك ضلالا منهم وإضلالا لغيرهم.

وعلى هذا المنهج فإنه من أبواب الدعوة المؤثرة في هذا الزمان الاحتجاج بالعلوم الحديثة كالفلك والطب وغيرهما من العلوم على صدق القرآن الكريم والسنة النبوية، مع مراعاة الحقائق العلمية الثابتة، وليس الهرولة وراء كل برق يلمع، دون تثبت وتحقيق.

٧- احتكام الحوار إلى الواقع:

من أوضح الأمثلة على اعتماد الحوار على الواقع في إقامة الحجة، ما جاء في الصحيح.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّا حَيٌّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَا نَقْدِرُ عَلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، إِذَا نَحْنُ

(١) قول الوليد إن أصله لعَذِق وإن فرعه لجناة. استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، وقوي وطاب فرعها إذا جنى، والنخلة هي العذق بفتح العين ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ورواية ابن هشام: إن أصله لغَدِق وهو الماء الكثير. الروض الأنف للسهيلي، ١٩/٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، ٢٧٠/١، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط٢، مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

أَخَذْنَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: اعْبُدُوا الله وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَالنَّقِيرِ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا عِلْمُكَ بِالنَّقِيرِ؟ قَالَ: بَلَى، جِذْعٌ تَنْقُرُونَهُ، فَتَقْذِفُونَ فِيهِ مِنَ الْقُطَيْعَاءِ - قَالَ سَعِيدٌ: أَوْ قَالَ: مِنَ التَّمْرِ-، ثُمَّ تَصُبُّونَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا سَكَنَ غَلَيَانُهُ شَرِبْتُمُوهُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ إِنَّ أَحَدَهُمْ - لَيَضْرِبُ ابْنَ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ، قَالَ: وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ كَذَلِكَ، قَالَ: وَكُنْتُ أَخْبَأُهَا حَيَاءً مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقُلْتُ: فَفِيمَ نَشْرَبُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فِي أَسْقِيَةِ الْأَدَمِ، الَّتِي يُلَاثُ عَلَى أَفْوَاهِهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَرْضَنَا كَثِيرَةُ الْجِرْذَانِ، وَلَا تَبْقَى بِهَا أَسْقِيَةُ الْأَدَمِ، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ. قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ"[(١)].

والشاهد هنا أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ استند في حواره -مع وفد عبد القيس- في تحريم الشرب من الآنية المحددة؛ بما حدث من ضرب أحدهم ابنَ عمه بالسيف لوقوعه تحت تأثير الخمر، وحيث إن الإسكار يُسرع إلى الأشربة في هذه الآنية، فاعتمد على تحريمها بما يؤول إليه الأمر من سرعة تخميرها الأشربة، وما يترتب على ذلك من المفاسد، وهو أمر عرفه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بوحي أو بخبر.

وهذا "النهي كان في أول الأمر ثم نُسخ بحديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال كنت نهيتكم عن الانتباذ إلا في الأسقية فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكرا"[(٢)].

وفيه تأصيلٌ للاستناد إلى الواقع في إثبات حُجة المُحاور لإثبات ما يدعو إليه، كما استند صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى واقع عبد القيس، حيث بيّن أن من خطورة الخمر أن يَذهل

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، حديث رقم ١٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف ١٨٥/١، ط٢، دار إحياء التراث: بيروت، ١٣٩٢هـ.

عقل الإنسان حتى يَضرب ابن عمه بالسيف غير مُصفح. وفي هذا وحده ردع للعاقل أن يتسبب في إذهاب عقله بيده حتى يعتدي على أقرب الناس إليه.

المبحث الثالث

تطبيقات عملية على الحوار

في القرآن الكريم ألوان شتى من الحوار، بين الله تعالى وملائكته، وبين الله تعالى وإبليس، وبين الباري تعالى وبعض رسله، وبين المرسلين وأقوامهم، وبين أهل الجنة وأهل النار.

وكل صور الحوار هذه تؤكد قيمته ومكانته في دين الله تعالى.

أولا: الحوار بين الله تعالى وملائكته:

يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)[(١)].

وفي هذه المحاورة هدايات منها:

١- **التربية على الحوار**: إن رب العالمين -الذي لا يُسأل عما يفعل- يُعلّم عباده المشاورة[(٢)]. وذلك ظاهر في خطابه تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكره بهذا الحوار بين الله العظيم وبعض خلقه، وفي تسجيله في القرآن الكريم دلالة على أهميته كمنهجٍ في الحياة.

٢-**حق التعبير عن الرأي**: فالملائكة الكرام لم يمنعهم الحياء من الاستفسار عن حكمة خلق مَن علموا أنه يسفك الدماء ويفسد في الأرض، ورب العالمين سبحانه رد على

(١) سورة البقرة: ٣٠: ٣٣.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن ٣٨٩/٢، ط٣، دار إحياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ.

استفسارهم بنوعين من الأدلة، كما سيأتي بيانه.

وفيه كذلك تعليم بمسؤولية الإنسان في الإفصاح عما يعلمه، مما قد يكون سببا في الفساد أو الإفساد، حتى يستبرئ لدينه، أو يتضح له ما لم يكن يعلم.

٣- **تقديم الدليل المقنع**: يؤكد سبحانه حُجته بما تعلمه الملائكة من أنه سبحانه يَعلم ما لا يعلمون، ولا يكتفي بهذه الحجة المقنعة لهم، بل يقيم عليها دليلا حسيا، يؤكد هذا الدليل الحسي أهلية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخلافة في الأرض، وذلك بعقد مناظرة بين آدم والملائكة في معرفة الأسماء.

"وفي الأسماء التي علمها الله تعالى آدم ثلاثة أقوال: أحدها: أسماء الملائكة. والثاني: أسماء ذريته. والثالث: أسماء جميع الأشياء، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد. ثم فيه وجهان: أحدهما: أن التعليم إنما كان مقصورا على الاسم دون المعنى. والثاني: أنه علمه الأسماء ومعانيها، إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا معاني، فتكون المعاني هي المقصودة، والأسماء دلائل عليها. وإذا قيل بالوجه الأول، وهو أن التعليم إنما كان مقصورا على ألفاظ الأسماء دون معانيها، ففيه وجهان: أحدهما: أنه علمه إياها باللغة، التي كان يتكلم بها. والثاني: أنه علمه بجميع اللغات، وعلمها آدم ولده، فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان استسهلوه منها وألفوه"[(١)].

فأي شاهد أقوى من هذا في الدلالة على كون الحوار منهجا إسلاميا أصيلا، يحمل مضامين الاحترام، والحرية الحقيقية، التي يقر بها الإسلام، ويمنحها للآخر؟

وفي ضوء هذا المثل العظيم، لا أحد فوقَ أن يُحاوَر ويُناقَش في قراراته، ولا أحد دون أن يُحاوِر ويُناقِش فيما يرى، مع الالتزام بالاحترام المتبادل، وإقامة الحجج والبينات.

٤- **رد العلم إلى أهله**: ويتضح ذلك الملمح من قول الملائكة (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) إن الاعتراف بالحق فضيلة، والرجوع إلى الصواب من دلائل

(١) النكت والعيون، الماوردي، ٩٩/١، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

التدين الحق.

فإن الملائكة بعد سؤال الاستفسار عن الحكمة مِن خلق مَن يسفك الدماء ويُفسد في الأرض "ختموا الجواب بالتبرؤ من كل شيء، والثناء على الله - تعالى - بالعلم الثابت الواجب لذاته العلية، والحكمة البالغة اللازمة له... فكان جواب الملائكة بهذا مؤذنا بأنهم رجعوا إلى ما كان يجب ألا يغفل مثلُهم عنه، وهو التسليم لسَعة علم الله وحكمته حتى يبلغ الكتاب أجله"(١).

لقد سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما لا يعلم؛ فرد الأمر إلى الله تعالى، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أي البقاع خير؟ فقال: لا أدري فقال: أي البقاع شر؟ فقال: لا أدري فقال: سل ربك، قال: فلما نزل جبريل، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني سئلت أي البقاع خير وأي البقاع شر؟ فقلت: لا أدري" فقال: جبريل: وأنا لا أدري حتى أسأل ربي، قال: فانتفض جبريل انتفاضة كاد أن يُصعق منها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال الله: يا جبريل يسألك محمد أي البقاع خير؟ فقلت: لا أدري، فسألك أي البقاع شر فقلت: لا أدري، وإن خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق"(٢).

ولما جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تسأله عن ميراثها، فقال لها: "ارجعي حتى أسأل الناس. وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: وأبردها على الكبد، ثلاث مرات. قالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يُسأل الرجل عما لا يعلم فيقول: الله أعلم"(٣).

وقال "قال يحيى بن سعيد للقاسم بن عبيد الله: يا أبا محمد، إنه قبيح على مثلك

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ٢٢٠/١، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، حديث رقم ٣٠٦. وصححه في صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح ٦٢٠/١، حديث رقم ٣٢٧١، دط، المكتب الإسلامي: بيروت، دت.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر ٢٨٦/١، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية: القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

عظيم أن تُسأل عن شيء من أمر هذا الدين، فلا يوجد عندك منه لم ولا فرج، أو علم ولا مخرج، فقال له القاسم: وعمّ ذاك؟ قال: لأنك ابن إمامي هدى، ابن أبي بكر وعمر، قال: يقول له القاسم: أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم، أو آخذ عن غير ثقة، قال فسكت، فما أجابه"[١].

"وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري"[٢].

أما الافتئات، والقول بغير علم، والخرص والظن، واتباع الهوى، فليست من دين الله تعالى في شيء.

ثانيا: الحوار بين الله تعالى وإبليس:

يقول الله تعالى: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)[٣].

وفي ضوء هذه المحاورة نقف على ما يلي:

١- **عدم الحكم بالظاهر**: فينبغي الاستفسار عن تعليل أفعال الآخرين الغير مُرضية؛ فقد يفعل الإنسان الخطأ رغما عنه، وقد يفعله غير عامد أو عارف، كما هو الحال في آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، ولذلك قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج القشيري ١٢/١، حديث رقم ٣٧، طبعة مصورة من الطبعة التركية، دار الجيل: بيروت، ١٣٣٤هـ.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر ٢٨٦/١.
(٣) سورة الأعراف: ١٢: ١٨.

نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[١]، والمعنى "لم نجد له عزما على الإصرار على المخالفة؛ وإن كان فذلك بمقتضى النسيان"[٢].

ومن دقائق التعبير في القرآن العظيم أنه سبحانه وتعالى نسب المعصية إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال عزّ من قائل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[٣]، وذلك من حيث صورة الفعل، فصورة الفعل أن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خالف أمر الله؛ فأكل من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها، تلك صورة الفعل، ولكن حقيقة الأمر أنه نسي، وتاب إلى الله تعالى فاجتباه وتاب عليه وهدى، فأنصف الله تعالى أول خلقه ونبيه آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعذره، وبرأ ساحته من تعمد المعصية والاجتراء على معصية الله تعالى.

وقد استفسر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من "حاطب بن أبي بلتعة" عن سبب ما فعله، وقد كان ما فعله ظاهرا خيانة عظمى للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمجتمع المسلم؛ حيث أرسل رسالة مكتوبة إلى أهل مكة يخبرهم بخروج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم في جيش، وذلك في فتح مكة، فقال حاطب: يَا رَسُولَ الله لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ -إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ- أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[٤].

فلم يؤاخذه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبينة الظاهرة، وإنما استفسر منه عن سبب ما فعل، ثم عذره بحسن نيته، وحسن سوابقه في الإسلام.

---

(١) سورة طه: ١١٥.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ٤٨١/٢، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.

(٣) سورة طه: ١٢١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث رقم ٢٠٠٧.

ولا ريب أن الأخذ بالظن، أو ما يسمى بالضربات الاستباقية -التي ابتدعتها أمريكا وأوروبا، ومفادها أن يضربوا المواقع والبلاد التي يتوقعون الهجوم- من الممارسات الإجرامية الوقحة، وهي

إحدى صور استبداد القوة الغاشمة في العصر الحديث، فأين هذا الهوس من رحمة الإسلام ورفقه.

٢- **حجية الإقرار**: والدليل على ذلك من هذه المحاورة، أن الله تعالى سأل إبليس عن سبب عدم السجود لآدم؛ فأقر أنه امتنع عن السجود لأنه خير من آدم؛ حيث خُلق من نار، وآدم خُلق من طين، وبناء عليه حكم الله تعالى عليه بالطرد من الجنة.

وقد حكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ماعز بالرجم بإقرارهما[١]، واعتبر العلماء أن إملالَ الذي عليه الحق إقراره"[٢]، أي أن كتابته اعتراف بالحق الذي عليه.

٣- **بيان علة الحكم**: إن الله تعالى لم يجرد حكمه على إبليس من بيان علة الحكم عليه، بل بين سبحانه أن طرْده من الجنة لتكبره (فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ)، وذلك ملمح تربوي عظيم، فإن من صور الاستبداد إطلاق الأحكام بلا بينة، وإنزال العقوبة من غير بيان لعلتها.

وأنت واجد في القرآن الكريم عشرات الأحكام المعللة من رب العالمين، الذي لا يُسأل عما يفعل، ومن هذه النماذج:

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[٣]، (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت، حديث رقم ٦٨٢٤.

(٢) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، ٤٤٤/١، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفران، ط١، دار التدمرية: السعودية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٣) سورة البقرة: ١٠.

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[١].

ولن تجد أرشد ولا أعدل من هذا المنهج الإسلامي في التربية والتوجيه، وبناء الفرد السوي، والمجتمعات الرشيدة.

٤- **التدرج في العقوبة**: حكَم الباري جل وعلا على إبليس بالطرد من الجنة، ولما أصرَّ على معصيته بتوعد آدم وذريته بالوسوسة والإفساد، أضاف إلى ذلك أن يخرج "مذموما بأبلغ الذم، مَقصياً مُبعدا"[٢]، فالعقوبة على قدر الذنب.

٥- **العنصرية سمة الطغيان**: استند إبليس في امتناعه عن السجود لآدم إلى حجة واهية، أنه أفضل عنصرا من آدم، وهو تعلق بما لا فضل له فيه، وإنما يُعاب المخلوق أو يُمدح بما اجتهد في تحصيله، وسعى له.

"وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه: منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نصٌ يقاربُ الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعا لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة. ومنها: أن قوله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟ ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق؛ ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين"[٣].

---

(١) سورة البقرة: ٥٩.

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص١٦٦، تحقيق: أحمد صقر، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ص٢٨٤، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، دار الرسالة: بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

والمستقرئ لكلام رب العالمين يقف على العنصرية المقيتة من المنفلتين، كقوم نوح، الذين حكى الله عنهم قولهم لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)[١]، وتشتعل عنصريتهم حتى يطالبوا نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ بطرد الذين آمنوا معه، فيرد عليهم (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)[٢].

وكذلك طالب مشركو قريش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطرد المستضعفين من المسلمين، (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)[٣].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض)، يعني أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء للفقراء (أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا) ، يعني: هداهم الله، وإنما قالوا ذلك استهزاء وسِخرياً"[٤].

ورب العالمين سبحانه يُسوى بين الجميع في أصل الخلقة، ثم يقيم قانون التفاضل على ما كسبت أيديهم، فيقول سبحانه: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٥].

فلا الألوان ولا القُوة، ولا الأحساب ولا الأنساب بالتي تقرب عند الله زلفى، إن موازين الفضل عند الله هي موازين العدل والرحمة والإصلاح في كون الله تعالى.

---

(١) سورة هود: ٢٧.

(٢) سورة هود: ٢٩، ٣٠.

(٣) سورة الأنعام: ٥٢.

(٤) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين، ٢٤٣/٢، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

ثالثا: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومدعي الألوهية:

يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[١].

وفي هذا الحوار من هدايات القرآن ما يلي:

١- **المبادرة**: ونعني بها أن واجب صاحب الحق أن يصدع به، وأن يبدأ به الآخرين، يقينا منه أنه ينفعهم، ويأخذ بحجزهم عن النار، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -كما يدل النص القرآني- يبدأ النمرود بن كنعان بالتعريف بالله تعالى أنه الذي يحي ويميت، أي "الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"[٢].

هكذا شأن الداعي إلى الله المبادرة بالدعوة إلى التي هي أحسن، والسعي للإصلاح، ودلالة الناس على رب العالمين سبحانه.

٢- **تجنب الجدل العقيم**: حينما يلجأ الخصم إلى الجدل العقيم، والاستدلال الفاسد؛ فإن على المحاور الفقيه أن يعاجله بالحجة القاطعة.

فقد أَتى النمرود برجلين "قد تحتم قتلهما، فإذا أمر بقتل أحدهما، وعفا عن الآخر، فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة، بل هو تشغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات"[٣].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٦٨٦/١، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة: دن، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٣٤٣/١، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

فما انساق الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معه في هذا الاستدلال الفاسد والجدل العقيم، وإنما انتقل إلى آية من آيات الله تعالى في الآفاق، فطالبه بعكسها إن كان إلها حقا.

أي أن "هذه الشمس مسخرة، كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها... فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحيي وتميت، فأت بهذه الشمس من المغرب، ... فبين ضلاله وجهله، وكذبه فيما ادعاه، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به، بل انقطع وسكت"(١).

رابعا: الحوار بين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعبدة الكواكب من قومه:

يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٢).

ذلك الحوار نموذج لاستدراج الخصم، والتنزل معه لإقامة الحجة عليه.

والتنزل هو "الانتقال من مذهب الحق الذي هو أعلى مرتبة إلى مذهبهم الباطل الذي هو في غاية الانخفاض"(٣).

فالخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "بين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة... لأنها لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا، ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٣٤٤/١.

(٢) سورة الأنعام: ٧٥: ٧٩.

(٣) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، الزمخشري، محمود بن عبد الرحمن ٣١٣/١، تحقيق: محمد مظهر بقا، ط١، دار المدني: السعودية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بين في النجم. ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه"[(١)].

وهو من "مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال؛ والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"[(٢)].

وقد سُمى هذا المسلك في الحوار بـ (إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد"[(٣)].

وهو من فنون الحوار التي ينبغي للمحاور أن يتقن فنونها.

خامسا: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطالب الإذن بالزنا:

في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن فتى شابا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه. مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبا". قال: فجلس قال:" أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، قال: " أفتحبه لابنتك؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩٢/٣.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد ٦٤/٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله ٤٦٣/٣، ط١، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"[(١)].

هذا الحديث الشريف آية من آيات التربية والتوجيه، ونموذج في المدى الراقي الذي تسنمته روعة الحوار في الإسلام، وفيما يلي بعض هدايات الحوار في هذا الحديث:

١- **القراءة العميقة لنفس الآخر**: لقد همّ الصحابة بهذا الشاب زجرا له عما صرح به بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف يجرؤ على قول ما قال في حضرة النبي وجلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؟!

ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا أن نقرأ الآخر قراءة واعية.

لو كان هذا الشاب خبيثا لما جاء يطلب الإذن في مثل هذا الأمر.

إن الذي دفعه نفس تبرجت لها الفتنة، وهي تتحرج من الحرام، ولعلنا لا نسرف في التخيل إن قلت: إن مواقعة الزنا كانت أقرب ما تكون إليه، بحيث جاء عجلا يطلب الإذن بالزنا، ولم يخطر بباله أن يطلب الزواج مثلا، أو أن المرأة ربما كانت متزوجة.

فكانت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفس الشاب دقيقة، توجها الصبر والحلم على مثل هذا الاجتراء الغريب.

٢- **إيقاظ النخوة الفطرية**: لم يتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه آيات تحريم الزنا، ولم يمطره بسيل الأحاديث المتوعدة لهاتكي الأعراض، وإنما صدمه بأن جعله يتخيل والدته يُفعل بها هذا، وسأله أيرضاه؟ فكان رده عفويا، رد النخوة الفطرية التي تستنكف أن تُجترح محارمها: لا والله، جعلني الله فداك! وكان من الممكن أن يجمع له النبي النسوة الخمس جملةً واحدة، فيقول: أترضاه لأمك أو بنتك أو أختك أو

(١) مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ٥٤٥/٣٦، حديث رقم ٢٢٢١١.

عمتك أو خالتك؟ ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قذف بصور الخمس في ذهنه يتخيلها في هذا الوضع البغيض، وهو في كل مرة يرفض قائلا: لا والله، جعلني الله فداك، وإنما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك ليهُد كيان الشهوة في نفسه، وقد جاء تستعر فيه نيران الشهوة حتى أعمته عن التفكير في معقولية ما يطلب.

٣- **قانون المثل**: يعزز الإسلام في نفس المؤمن أن يحب للناس ما يحب لنفسه، ومفهوم المخالفة من هذا، أن يُبغض للناس ما يُبغضه لنفسه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يا أبا هريرة كن ورعا، تكن أعبد الناس، وكن قنِعا، تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب"(١).

وفي هذا الحوار الدائر بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين هذا الشاب يعطي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نموذجا عمليا على هذا، حيث يعقب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ولا الناس يحبونه لبناتهم، ولا الناس يحبونه لأخواتهم؟ والمعنى: كما تكره هذا في محارمك، ولا تتصوره لهم، فكذلك الناس، لا يرضونه لمحارمهم.

٤- **بركة الدعاء**: يشفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحلم الحليم، والصبر الصبور على اجتراء هذا الشاب بالدعاء له أن يغفر الله ذنبه، ويطهر قلبه، ويحصن فرجه، فكان -ببركة دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يلتفت لشيء مما يتبرج من الفتن.

هكذا يقيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوارا مع هذا الشاب المجترئ؛ ليعلم الأمة كيف يكون استيعاب الشباب، وكيف يكون الصبر عليهم، ومنهجية الخروج بهم إلى الأمان من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، عن طريق الحوار معهم، وإقناعهم، واختيار المنهج الأمثل للوصول إلى هذا الإقناع.

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، حديث رقم ٤٣٣٩. وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٦٠٢/٢، ط١، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتيسر الأمور العسيرات. قد تبين لنا من خلال الصفحات السابقات قيمة الحوار وأهميته في الإسلام، فهو قيمة سامية، ومنهج أصيل، وملامحه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرة للعيان، وتطبيقاته كثيرة متنوعة، وفي كل منها هدايات للمحاور، يتعلم من خلالها أصوله وآدابه وضوابطه.

أهم النتائج:

١- أهمية الحوار كمنهج.

٢- من مقتضيات تكريم الإنسان أن يُحاور ويُناقش، وألا يُراد على ما لا يريد.

٣- قيام الحوار في الإسلام على حرية الإرادة والرحمة.

٤- قيام الحوار في الإسلام كذلك على العلم والأصول والعلوم المعتبرة وعلى شواهد الواقع.

٥- يزخر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بتطبيقات عملية للحوار.

أهم التوصيات:

أنصح الباحثين باستقصاء التتبع لمواطن الحوار في القرآن والسنة واستنباط القواعد الموجهة في الحوار.

أهم المصادر والمراجع

١- البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله، ط١، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٣- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، الزمخشري، محمود بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد مظهر بقا، ط١، دار المدني: السعودية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

٥- تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن، تحقيق: علال بندويش، ط١، جامعة أم القرى: السعودية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٦- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفران، ط١، دار التدمرية: السعودية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٧- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد المحلي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، دار الحديث: القاهرة، دت.

٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

٩- تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنين، محمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق: حسين عكاشة، محمد الكنز، ط١، الفاروق الحديثة: القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة: دن، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١١- التفسير الكبير، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن ، ط٣، دار إحياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢- التفسير الوسيط، الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، تحقيق عادل عبد الموجود وزملائه، ط١، المكتبة العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، دار الرسالة: بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية: القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٥- دلائل النبوة لأبي نعيم، تحقيق: محمد رواس، وعبد البر عباس، ط٢، دار النفائس: بيروت،

١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
١٦- السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، حديث رقم ١٣٤٦١، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية: الهند، ١٣٤٤هـ.
١٧- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، ط٢، شركة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.
١٨- شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٠هـ.
١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، دار العلم للملايين: بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٢٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح، دط، المكتب الإسلامي: بيروت، دت.
٢١- العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دت، دار الهلال: القاهرة، دت.
٢٢- غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٢٣- فتح الباري لابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعالبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٢٦- الكليات، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، دط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٢٧- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ط٣، دار صادر: بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٨- لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.
٢٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٠- مجاز القرآن، معمر بن المثني التيمي المصري، تحقيق: محمد سزكين، دط، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٣٨١هـ.
٣١- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، حديث رقم ٣٦٣٧، تحقيق:

مقبل الوادعي، دط، دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٢- مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج القشيري، طبعة مصورة من الطبعة التركية، دار الجيل: بيروت، ١٣٣٤هـ.

٣٤- معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله ، تحقيق: أحمد النجاتي وزميليه، ط١، دار المصرية: القاهرة، دت.

٣٥- مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ط٢، دار إحياء التراث: بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٧- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بن بشير بن ياسين، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٨- النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

Top Resources

1- The beginning and the end, Ibn Kathir, an investigation: Abdullah Al-Turki, I1, Dar Hajar: Cairo, 1418, 1997.
2- Proof in Qur'an Sciences, Zirkashi, Muhammad bin Abdullah, I1, Dar al-Maarafa: Beirut, 1410 A.H. 1990.
3- Abbreviated statement explaining the shortcut of Ibn al-Hajeb, Al-Zamkhashri, Mahmoud Bin Abd Al-Rahman, the investigation: Mohammed Mazhar Baqa, I1, Dar Al-Madani: Saudi Arabia, 1406, 1986.
4- Tahrir and Enlightenment, Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher Bin Mohammed, Dutt, Dar Al-Tunisiyah: Tunisia, 1984.
5- Tafsir ibn Fork, Muhammad ibn al-Hasan, Inquiry: Allal Bendawish, I1, Umm al Qura University: Saudi Arabia, 1430, 2009.
6- Interpretation of Shafi'i Imam, Shafi'i, Muhammad ibn Idris ibn al-Abbas, collection, investigation and study: Ahmed al-Furan, I1, Dar al-Tadmiyah: Saudi Arabia, 1427, 2006.
7- Tafsir al-Jalalin, Muhammad ibn Ahmad al-Muhalili, Abdulrahman ibn Abi Bakr al-Suyuti, I1, Dar al-Hadith: Cairo, D.
8- Tafsir Al-Quran Al-Hakim (Tafsir Al-Manar), Muhammad Rashid Rida, Dett, Egyptian General Book Organization: Cairo, 1990.
9- Tafsir al-Quran al-Aziz, son of Abu Zamnayn, Mohammed bin Abdullah bin Issa, an investigation: Hussein Okasha, Mohammed Al-Kanz, I1, Al-Farouk Al-Haditha: Cairo, 1423, 2002.
10- interpretation of the great Qur'an, Ibn Kathir, Ismail ibn Umar ibn Kathir, investigation: Sami Salama, T2, Dar Tayba: Ramadan 1, 1420, 1999.
11- Al-Tafseer al-Kabeer, Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hassan, I3. Beirut, 1420.
12- The intermediate explanation, the one, Ali bin Ahmed bin Mohammed, Adel Abdel Majid and his colleagues' investigation, I1, the Scientific Library: Beirut, 1415, 1994.

13- Tayseer Al-Karim Al-Rahman in Tafsir Al-Mannan, Al-Saadi, Abdul Rahman Bin Nasser Bin Abdullah. Abdul Rahman al-Luwayiq, I1, Dar al-Resala: Beirut, 1420 A.H. 2000.
14- Al-Qur'an Mosque, Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr: Ahmed Al-Bardouni, Ibrahim Atafish, T2, Egyptian Book House: Cairo, 1384, 1964.
15- Prophetic signs of Abi-naim, realization: Mohammed Rawas, Abdul Bar Abbas, T2, Dar al-Nafis: Beirut, 1406, 1986.
16- Al-Sinan al-Kubra, Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein bin Ali, and in his tail, the pure essence of the Turkmen son, Hadith No. 13461, I1, the Council of the Circle of Organized Knowledge: India, 1344.
17- Biography of Hisham's son, Abdul-Malik Bin Hisham Bin Ayyub. Mustafa al-Saqqa and his two colleagues, T2, Mustafa al-Babi al-Halabi Company: Cairo, 1375, 1955.
18- People of Faith, Al-Bahiki, Ahmed Bin Al-Hussein, I1, Dar Al-Kutub Al-Alamiya: Beirut, 1410.
19- Al-Saha Taj Al-Ghululoh wa Al-Arabiya Al-Jawhari, Ismail Bin Hammad, Al-Haq: Ahmed Attar, I4, Dar Al-Alam Al-Malaeen: Beirut, 1407, 1987.
20- True to the small mosque and its increase, the Albanian, Muhammad Nasiruddin Bin Noah, Dutt, Islamic Bureau: Beirut, Dada.
21- Al-Ain, Al-Faraheedi, Al-Khalil bin Ahmed bin Amr, investigation: Mahdi al-Makhzumi, Ibrahim al-Samarraie, Dada, Dar al-Hilal: Cairo, D.
22- Gharib al-Quran, Ibn Qutaiba, Abdullah bin Muslim bin Qutaiba, an investigation: Ahmed Saqr, Dett, Dar al-Kutub al-Alamiya: Beirut, 1398, 1978.
23- Ben Hajar's Al-Bari opens an investigation: Mohammed Fouad Abdel Baqi, Moheb Eddin Al-Khatib, Abdel Aziz Bin Baz, Dutt, Dar Al-Maarafa: Beirut, 1379.
24- Disclosing the facts of download mysteries, Al-Zamkhashri, Mahmoud bin Amr bin Ahmed, T3, Dar Al-Kitab Al-Arabi:

Beirut, 1407.
25- Revelation and statement of the interpretation of the Qur'an, Al-Thaalbi, Ahmed bin Mohammed bin Ibrahim, I1, Dar al-Ittihad Al-Arabi: Beirut, 1422, 2002.
1- Faculties, the blind man, Ayub ibn Musa al-Husseini, an inquiry: Adnan Darwish, Mohammed Al-Masri, Dr., Al-Resala Foundation: Beirut, 1419, 1998.
2- Arabic tongue: Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali, I3. Dar Sadir: Beirut, 1414.
3- For Taef Al-Isharat, Al-Qushiri, Abdul Karim Bin Hazen Bin Abd Al-Malik, an investigation: Ibrahim Al-Bassiouni, I3, Egyptian General Book Association: Cairo, D.
4- An illustration in the literature of the writer and poet Ibn al-Atheer, Nasrallah Bin Mohammed Bin Mohammed, is an investigation: Mohamed Mohieddin Abdel Hamid, Dada, Modern Library: Beirut, 1420.
5- Metaphor of the Quran, Muammar ibn al-Muthanna al-Timimi al-Masri, an investigation: Mohamed Sazkin, Dutt, Khanji Library: Cairo, 1381.
6- Al-Mustaqbal also pointed out that the governor, Mohammed bin Abdullah bin Mohammed, gave a speech number 3637, an investigation: Muqbil al-Wadaei, Dutt, Dar al-Haramain: Cairo, 1417, 1997.
7- Musnad Ahmed, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal bin Hilal. Shuaib Arnaout, Adel Murshid and others, I1, founder of Resala: Beirut, 1421, 2001.
8- The True Concise Document Transferring Justice From Justice to God's Messenger, Muslim Bin Al-Hajaj Al-Qushiri, Turkish Edition, Dar Al-Jil: Beirut, 1334.
9- The meanings of the Qur'an, the fur, Yahya bin Ziyad bin Abdullah, an investigation: Ahmed al-Najati and his two colleagues, I1 and Dar al-Masreya: Cairo, D.
10- Language Standards, Ibn Faris, Ahmed Bin Faris Bin Zakariya, Achieve: Abdul Salam Haroun, Dutt, Dar al-Fikr: Beirut, 1399,

1979.
11- Al-Minhaj: Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf, T2, Dar Al-Athriq. Beirut, 1392.
12- Al-Sahih Al-Masbori from Al-Tafseer, Hikmat Bin Bashir Bin Yassin, I1, Dar Al-Maathir: Medina, 1420 A.H. 1999.
13- jokes and eyes, Mawardi, investigation: Mr. Abd Al-Maqsoud, Dett, Dar Al-Kutub Al-Alamiya: Beirut, Dada.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

مقدمة:..... ٢٠٥
تمهيد:..... ٢٠٩
تعريف الحوار:..... ٢٠٩
التعريف الاصطلاحي:..... ٢٠٩
مصطلحات مرادفة للحوار:..... ٢٠٩
المبحث الأول: مقاصد الحوار في الإسلام..... ٢١١
أولا: طرح القضايا الكبرى (الإعلام بدور الإنسان المحوري في هذا الكون):..... ٢١١
ثانيا: تقليد شرف النبوة والرسالة:..... ٢١٢
ثالثا: إقامة الحجة على الطواغيت:..... ٢١٤
رابعا: تعرية الشر وكشف الباطل:..... ٢١٦
خامسا: إزالة اللبس والرد على الشبهات:..... ٢١٩
سادسا: تبليغ الدعوة:..... ٢٢١
سابعا: نصرة الحق:..... ٢٢٤
ثامنا: إبراز خصائص الكافرين:..... ٢٢٧
١-الاستبداد الفكري:..... ٢٢٧
٢-التنصل من المسؤولية:..... ٢٢٨
٣-نصرة الباطل والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:..... ٢٢٩
٤-قلق الباطل وزُهوقه:..... ٢٢٩
تاسعا: إعلان المبادئ والثبات على الحق:..... ٢٣٠
عاشرا: تبكيت الكافرين ومؤانسة المؤمنين:..... ٢٣١
المبحث الثاني: أسس بناء الحوار في الإسلام..... ٢٣٣
١-الحوار مقتضى تكريم الإنسان:..... ٢٣٣
أ- تكريم بأصل الخلقة:..... ٢٣٣
ب-تكريم بتسخير الكون:..... ٢٣٤
ج-تكريم بعهد الفطرة الأول:..... ٢٣٥
د-تكريم بالعناية والتوجيه:..... ٢٣٦

٢-قيام الحوار على حرية الإرادة:..... ٢٣٧
٣-قيام الحوار على الرحمة:..... ٢٣٨
٤-احتكام الحوار إلى العلم:..... ٢٤٠
٥-احتكام الحوار إلى الأصول المعتبرة عند بني آدم:..... ٢٤٢
٦-احتكام الحوار إلى العلوم المعتبرة:..... ٢٤٤
٧-احتكام الحوار إلى الواقع:..... ٢٤٥
المبحث الثالث: تطبيقات عملية على الحوار..... ٢٤٨
أولا: الحوار بين الله تعالى وملائكته:..... ٢٤٨
ثانيا: الحوار بين الله تعالى وإبليس:..... ٢٥١
ثالثا: إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومدعي الألوهية:..... ٢٥٦
رابعا: الحوار بين إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعبدة الكواكب من قومه:..... ٢٥٧
خامسا: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وطالب الإذن بالزنا:..... ٢٥٨
خاتمة:..... ٢٦١
أهم النتائج:..... ٢٦١
أهم التوصيات:..... ٢٦١
أهم المصادر والمراجع:..... ٢٦٢
فهرس الموضوعات:..... ٢٦٩